بسم الله الرحمن الرحيم

عن النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إِنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبَهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَت صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ)).

حديث يبين فيه النبي صلى الله عليه وسلم قضيةً من القضايا التي تهمنا خاصةً نحن في بلاد الغرب التي نعيش فيها، والتي اختلطت فيها الأمور ونرى فوضى الفتاوى، وصار الدين عرضةً لكل من أراد أن يتكلم بعلمٍ أو بغير علم.

فمسألة الحلال والحرام والشبهات قضية تحتاج إلى تأمل دقيق حتى تتضح لنا الأمور:

رأس هذا التأمل أن الله هو الذي يحل ويحرم، ونحن عبيد له، وما حرم ليضيق علينا، إنما حرم علينا ما كان في تحريمه صلاحنا، لكن الكثير ينظر إلي مسألة الحلال والحرام أن الالتزام بها تضييق للحياة، وأن فيها قيودا على حرية الإنسان، وللأسف هذا كلام عبد هواه، عبد ما يشتهي لا عبد الله عز وجل، وهذا لا شك سبيل الضلال كما قال تعالى: {أَفَرَأَيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلمٍ وَخَتَمَ عَلى سَمعِهِ وَقَلبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَن يَهديهِ مِن بَعدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرونَ}[الجاثية: ٢٣]، أما من تعبد لله بما أمره به، وعلم أن الخير في طاعته، والشر في معصيته، فهذا يتحقق فيه قوله تعالى :{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يشقى}[طه ١٢٣ :١٢٤]، فالله ما أمر بشيء عبثا، ولا شرّع شيئا عبثا، فمنها يكتشف الانسان الحكمة منها، وأمور لا يستطيع أن يكتشف الحكمة لا لانعدامها بل لخفائها أو لجهلنا بها.

ورحم الله الإمام الشعراوي حين قال: (إن البعض ينظر إلى مسألة الحلال والحرام نظرة ضيقة فيري أن الله حرم عليه السرقة، وحرم عليه القتل، وحرم عليه الزنا، لو وسعت الدائرة لعلمت أن الله لم يحرم عليك

وحدك القتل؛ بل حرم على جميع أهل الارض أن يقتلوك، وأن يسرقوك، أو ينالوا من عرضك هذه هي النظرة الشاملة لقضية الحلال والحرام فهي ليست تضييق).

والبعض ينظر إلى مسألة الحلال والحرام على أنها مسألة شخصية يعني فأنا مقتنع بكذا، أو أنا حر أفعل ما أشاء، أو تراه يتتبع الشاذ من الأقوال، والدافع في كل ذلك المنفعة الشخصية، و

الحلال والحرام يخضع للشرع وليس للأهواء، الحلال والحرام ليس قضية فوضوية، حسب ما ترى او حسب ما يخدم منفعتك الدنيوية، بل نصدر عن أمر الله ورسوله.

فلما تتكلم المرأة عن الحجاب وتقول: الحجاب تضييق على حريتي وأنا أرى أن الشعر نعمة من الله يظهر جمال المرأة فلماذا نغطيها؟ والآخر يبيح لنفسه القروض الربوية، ويقول لك أفتى فلان وقال علان، المهم أن الفتوى وافقت هواه!

ولم يعد مستغرباً أن نسمع من يقول الشيخ فلان يرى حرمة الخمر، والشيخ فلان يرى أن الخمر ليست حراماً، والشيخ فلان يرى أن الحجاب خاص بزوجات الرسول وليس تشريعا عاما، وشيخ غيره يرى فريضة الحجاب على كل مسلمة، الشيخ فلان يرى أن صيام رمضان فريضة، والشيخ فلان يرى انه مستحب للقادر عليه، وهو خاص بالأغنياء لا الفقراء، وهكذا نصل الي التشكيك والتلاعب بثوابت الدين.

والمسألة ليست قال فلان وعلان، المسألة أمر الله ورد الامر إليه، من يتكلم في أمرٍ بعيد عن قال الله، قال رسوله، قال العلماء الموثوق بعلمهم، نقول له فتواك لقيطة لا نحتاجها.

وأريد أن ألفت النظر لأمر مهم، فقد يعتقد البعض أن الذي يحرم أي مسألة تعرض عليه فهو على منهج السلف، وهذا ليس بصحيح، فالحلال والحرام قضية فيها وضوح وقطعيات في الشرع، فاذا لم يتضح الأمر عند المفتي فليسعه ما وسع العلماء من قبله كالإمام أحمد مثلاً كان يقول عما لا يعلم حكم الله فيه: لا أحبه لا استحسنه أو أكرهه.

(فالتشديد والتحريم يحسنه كل أحد، إنما الرخصة تكون من ثقة) كما قال سفيان الثوري.

والفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، وهذا ليس تمييعا للدين، كما يظن البعض إنما هو فقه للواقع، فالشافعي في مصر غير شافعي العراق. ابحث عمن تثق بدينه وورعه كما قال الإمام مالك رحمه الله: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم)، فأحدنا لما يذهب لطبيب يحتاط أن يكون طبيبا ذا خبرة متمكنا في عمله، لأن في ذلك سلامةً لبدني! فما بالنا لا نطلب السلامة لديننا.

نسأل الله ان يرزقنا الورع والتعلق بالآخرة وألا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا.

والحمد لله رب العالمين